التسجيل الصوتي للقرآن الكريم
« دراسة نقدية »

بقلم
أ/ كمال قده
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
معهد الآداب واللغات ـ المركز الجامعي بالوادي

ملخص البحث

يعالج الموضوع مسألة التسجيل الصوتي للقرآن الكريم، من حيث بداية ظهوره منذ أكثر من أربعين عاما إلى أيامنا هذه، إذ يكشف عن أهمية السماع في تلقي القرآن الكريم من أفواه كبار القراء كالمنشاوي والحصري وعبد الباسط عبد الصمد وغيرهم، وذلك عن طريق ما سجل لهم وهم يتلون كتاب الله تعالى.

كما يتناول الموضوع دراسة نقدية لهذه المصاحف المرتلة فيكشف عن كثير من الأخطاء التي وقعت عند كثير منهم، حتى يتنبه السامع لذلك، فلا يسلم بالكلية لكل ما يسمعه وصيانة لهذا الكتاب العزيز، مما يحتم ضرورة تمحيص التلاوة المسجلة قبل أن تعرض للعامة، وذلك عن طريق لجان متخصصة في القراءات القرآنية.

Résumé :

Ce sujet traite la question liée à l'enregistrement audio du coran saint au début de son apparition depuis plus de quarante ans jusqu'à ce jour. Il révèle l'importance de l'écoute du recevoir du coran saint de la bouche des lecteurs les plus célèbres tels que Minchaoui, Hossari et Abdelbasset abdessamad et autres. Ceci par le biais des enregistrements faites par eux quand ils récitent le coran.

Il aborde également une étude critique de ces enregistrements. Ainsi, il dévoile la plus part des erreurs qui se sont produites chez des nombreux d'entre eux pour que l'intéressé fait attention et dans le but, aussi, de conserver le coran saint. Ce qui rend nécessaire d'examiner ces enregistrements par des comités spécialisés avant d'être présenté au public.

تمهيد

فضيلة السماع :

لقد شرف الله أمة الإسلام بنزول هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد سبق في علمه سبحانه أنها أفضل الأمم، وأكثرها استعداداً لتلقي هذا الوحي المبين، والعمل بمقتضاه، لذلك حصل الشرف وكانت المنة، قال الله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾[فصلت] . وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء].

لقد كان هذا الكتاب معجزاً في معانيه وجمله وكلماته وحتى في حروفه وصفاتها ومخارجها وكل ما يتعلق به من أحكام، وحتى يترصع هذا الإعجاز ويبلغ القمة السامقة في الجودة والحسن والإتقان أمر الله نبيه ﷺ أن يتغنى به ويقرأه على أكمل وأجود ما تكون القراءة، فقال الله عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝ ﴾ [الفرقان] وقال :﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ ﴾ [المدثر].

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: « ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت يتغنى بالقرآن »[1]

وكان ﷺ يحبب إليه استماع القرآن من غيره، خاصة إذا لهجت به حناجر صدّاحة رقيقة خاشعة، فقد ثبت أنه ﷺ طلب من ابن مسعود ﷺ أن يسمعه من حفظه، مما جعل ابن مسعود حائراً ومندهشاً، إذ كيف يكون في منزلة القارئ والنبي ﷺ في منزلة المستمع؟!، ولم يخف ذلك في نفسه، فقال ﷺ: « .. أقرأ عليك وعليك أنزل ! فقال إني أحب أن أسمعه من غيري »[2]

وثبت عنه ﷺ أنه كان يتسمع لأبي موسى وهو يقرأ في بيته بصوته الجميل المؤثر، مما جعل النبي يثني على قراءته ويمدح حسن تلاوته أمام الملأ فقال: « لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود.. »[3]

بل إن القرآن في جمال صوته وحسن قراءته وبلاغة عبارته سحر الجن وجذب أسماعهم، وكان لهذا السماع أثره البالغ في نفوسهم، فرجعوا بغير

الحال التي بها أتوا، قال عز وجل مصوراً هذا المشهد: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف].

وهكذا تبين أن فضيلة السماع لهذا الكتاب العزيز فضيلة كريمة ومنقبة عالية شريفة لا تقل أهمية عن فضل القراءة.

لقد كان القراء المهرة والحذاق المتقنون من العصر الأول إلى بدايات هذا العصر تنحسر قراءاتهم وتنحصر في زمانهم الذي يعيشون، فإذا انقطع خبر القارئ بمرض أو وفاة، انقطع معه كل ما وُهب من ملكات وقدرات فائقة في التغني بهذا الكتاب وتلاوته على الوجه الصحيح، وغابت بذلك نفحات ولفحات لو قدر لها البقاء لكانت سبباً في كثير من الفيوضات التي تغشى المؤمن حال السماع.

من هنا كانت عنايات الله بهذه الكتاب تترا وتتنزل تباعاً، وذلك حين سخر العلماء المخلصين والأذكياء العاملين من هذه الأمة كي يستغلوا ما توصل إليه العلم الحديث من حضارة وتقدم في مجال التسجيل ليطوعوا هذا الأخير في خدمة الكتاب العزيز فكان التسجيل الصوتي للقرآن الكريم، والذي اعتبره امتداداً ونهايةً طيبةً وطبيعيةً للمشروع الذي أحدثه سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ وباركه الصديق ورسخ معالمه ذو النورين سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وعن الصحابة أجمعين.

نشأة التسجيل الصوتي للقرآن الكريم

المصحف المرتل المسجل هو أحدث أساليب العصر الحديث في تلقي القرآن الكريم، وقد مضى على ظهوره حتى الآن حوالي أكثر من أربعين عاماً، وله اليوم شهرة واسعة تضاهي شهرة المصاحف المكتوبة، وفي عصرنا غدت فرص الاستماع إلى القرآن من قراء متقنين مجيدين ميسرة وكثيرة، وأصبح في مقدور الأمّيين أن يستمعوا إليه مرتلاً مصوناً من الخطأ واللحن .

وكان القصد من اتخاذ هذه الوسيلة، إسماع المسلمين في شتى آفاق الأرض صوت النص القرآني السليم للتثبت من صحة النص المكتوب خشية أن يكون هناك طبعات للمصحف فيها خطأ غير مقصود[4]، وهي من أكبر الخدمات الإقرائية في العصر الحاضر، ويعود الفضل فيها بعد الله عز وجل إلى صاحب الفكرة والمشروع الأستاذ الدكتور لبيب سعيد[5] ـ رحمه الله ـ .

والسبب الذي دعا فضيلته إلى إنجاز هذا المشروع الضخم هو حسرته على ضياع كثير من الأصوات الحسنة والمجيدة لتلاوة القرآن بأحكامه، وذلك بموت أصحابها وانقطاعهم عن الدنيا .

فقد كان رحمه الله يتابع المقارئ الكبيرة بالقاهرة، والتي تعقد لكبار القراء الممتازين من علماء القراءات، فكان يؤلمه أنه إذا مات منهم أستاذ حاذق متقن خلفه أحياناً من لا يعدله في أستاذيته وصوته، وبهذا تضيع على المسلمين وإلى الأبد مواهب لم تسجل، فأصحاب التراث الصوتي وفي مقدمتهم القراء يفنى تراثهم بفنائهم .[6]

لهذا السبب أساساً، ولغيره من الأسباب كالمحافظة على القراءة الصحيحة والمسندة إلى النبي ﷺ بأفواه الشيوخ المهرة، من أجل هذه الأسباب مجتمعة، قدّم[7] الأستاذ لهذا العمل أعظم إنتاج يليق بهذا المشروع الجلل، فكان كتابه الثري الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أوضح فيه معالم مشروعه وبواعثه ومخططاته، فكان غاية في الدقة والضبط، وذلك حتى يحظى هذا العمل الجبار بشرعية ومصداقية، وفعلاً تم له ذلك وباركت مشيخة الأزهر هذا العمل وتبنت السلطة الحاكمة آنذاك، تكاليف هذا المشروع لتذاع لأول مرة كلمات القرآن مرتلة بصوت القارئ الجليل محمود خليل الحصري[8] ـ رحمه الله ـ .

المصحف المسجل ودوره في التلقي

أ ـ لاشك أن المصحف المرتل بأصوات الشيوخ المهرة والعالمين بأحكام القراءة والتجويد كأمثال الشيخ محمود خليل الحصري ـ رحمه الله ـ، قد ارتقى منزلة الشيخ المقرئ الحاذق، في تلقين القراءة وأحكامها، ومن هنا يمكن تحقيق التلقي الشفهي في غياب المقتدرين عليه، والذين قل عددهم في هذا العصر لأسباب سبق ذكرها .

وإن كان للمصحف المرتل مزية الاستماع والتلقين، فإنه ينقصه فضل العرض لمن يريد إحكام قراءته على النحو السليم، وهو ما لا يستطيع المصحف المرتل أو غيره توفيره، لأن الاستماع وحده لا يكفي لضبط القراءة وإتقانها بل لابد من وجود الشيخ نفسه للعرض عليه ومناقشته في بعض الأحكام الخفية كالإشمام والروم ...وغيرها، ولا أقصد بذلك المعرفة النظرية لهذه القواعد فحسب، إنما أقصد التطبيق العملي الذي لا تحكمه إلا المشافهة والتلقي.

وإليك ما ذكره ـ كبير قراء عصره وصاحب الصنعة بلا منازع ـ الإمام ابن الجزري في مسألة المد وتفاوت مراتبه ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ وهو مما لا يضبط إلا بالسماع والمشافهة، قال رحمه الله:" أن هذا الاختلاف في تقدير المراتب بالألفات لا تحقيق وراءه، بل يرجع إلى أن يكون لفظياً، وذلك أن المرتبة الدنيا ـ وهي القصر ـ إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى، وهذه الزيادة بعينها إن قدرت بألف أو بنصف ألف هي واحدة، فالمقدر غير محقق، والمحقق إنما هو الزيادة، وهذا مما تحكمه المشافهة وتوضحه الحكاية ويبينه الاختبار ويكشفه الحسن، قال الحافظ أبو عمرو الداني رحمه الله: وهذا كله جار على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف، وتلخيص السواكن، وتحقيق القراءة وحدرها، وليس لواحد منهم مذهب يسرف فيه على غيره إسرافاً يخرج عن المتعارف في اللغة والمتعالم في القراءة بل ذلك قريب بعضه من بعض والمشافهة توضح حقيقة ذلك والحكاية تبين كيفيته"[9].

وأيا كان الأمر فالمصحف المرتل يفي بجانب مهم من الغرض المقصود قد يعجز الوفاء به كثير من قراء هذا العصر .

ب ـ لو قدر لهذا المشروع النجاح الكامل فإنه سيساهم في المحافظة الفعلية على القراءات العشر المتواترة التي أجمع عليها المسلمون وثبت لهم تواترها وعدم شذوذها مع ملاحظة جسامة الأمر من تفرع الطرق وكثرة الأوجه التي تستوجب عملا جبارا ونسخا عديدة من كل ختمة لتحقيق الغرض .

ولا يختصر هذا العمل ويسهل أمره ـ في نظري ـ إلا أن يسجل القارئ في بداية كل ختمة مقدمة يتحدث فيها عن هذه الطرق والأوجه الجائزة في الرواية التي اختار القراءة بها .

وقد كان بعض المقرئين القدامى يأخذ بالأقوى عنده، ويجعل الباقي مأذوناً فيه فجمعها في كل موضع فيه تكلف، والأولى تركه[10] .

ج ـ المصاحف المرتلة بأصوات المهرة و المتقنين لهذا الفن ساهمت في تيسير القرآن الكريم للحفظ و التعلم، خاصة في المجتمعات الإسلامية غير العربية التي ينقصها غالباً المعلم العربي الفصيح والضابط و المتقن لأحكام التلاوة .

د ـ هذه المصاحف المرتلة تعاضد المصحف العثماني الذي أجمع المسلمون عليه، فبإمكان المسلمين الآن أن يتجاوزوا مرحلة التسجيل الكتابي للقرآن الكريم إلى تسجيله صوتياً، فيصبح لديهم التسجيلان معاً، على أن أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عبر الدهور كانت ـ ولا تزال ـ روايته وتلقيه مباشرة ومشافهة، فماً لفم، وهذا هو المعتمد عند علماء القرآن الكريم، لأن في القرآن ما لا يمكن إحكامه إلا عن طريق المشافهة والسماع[11] .

هـ ـ درء أي تحريف عن القرآن الكريم، فالمحفوظ في الصدور والمخطوط في السطور إذا انظم إليهما المسموع والمسجل من كلمات القرآن الكريم، يصبح من الصعب التطرق إلى أي حرف من حروف الكتاب العزيز الذي تكفل الله بحفظه و حمّل الأمة ضرورة العناية به والذود عنه .

و ـ نشر لغة القرآن وتوطيد الوحدة بين المؤمنين به[12] .

دراسة نقدية لبعض التسجيلات القرآنية المشهورة[13]:

إن كنا قد أنهينا الكلام عن مشروع المصحف المرتل وبواعثه وقيمته العلمية، وحاجة العصر إليه في تلقي القرآن الكريم، وأثره في نفوس المسلمين، فإن ذلك لا يمنعنا من دراسة نقدية لبعض المصاحف المرتلة بأصوات بعض الشيوخ الأجلاء، وإن كان ليس لمثلي الحق في أن يعلق على أمثال هؤلاء الرجال الذين تعلقت قلوبهم بالقرآن وأفنوا أعمارهم في خدمته، فهم أهل الله وخاصته وفيهم العلماء وأكثرهم الصالحون .

لكن الكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه، والناس معرضون للخطأ والإصابة، ويقتضي المقام منا الإشادة بالصواب، وبيان وجه الخطأ حتى يتم تداركه والتنبيه عليه .

وفيما يلي : **قطوف من التسجيلات المرتلة مع بعض المآخذ اليسيرة عليها :**

في العالم الإسلامي العديد من نسخ المصاحف المرتلة، منّ الله تعالى على قراءها بإتقان القراءة وجودة الأداء، وجمال الصوت، وكل واحد من هؤلاء الشيوخ المهرة، صاحب مدرسة رائدة في ترتيل القرآن الكريم وتجويده، وله جمهور لا يحصى من المعجبين يقلدون طريقته و يتأثرون بأدائه.

ومن أمثلة هؤلاء: الشيخ محمود خليل الحصري والشيخ محمد صديق المنشاوي[14] والشيخ عبد الباسط عبد الصمد[15] والشيخ مصطفى إسماعيل[16] ود. علي عبد الرحمن الحذيفي[17] ود.محمد أيوب[18]... وغيرهم.

فعلى الرغم من جلال هذه المصاحف المرتلة وقيمتها العلمية من حيث القراءة والأداء، إلا أنه ينقصها بعض الضبط في مواضع يسيرة منها، ولست بذلك أحطّ من مكانتها ـ فأنا دون ذلك ـ ولكن هي بعض الهفوات التي تكرر انفلات اللسان فيها، يحسن التنبيه إليها رغبة في الكمال، وزيادة في الجمال .

من ذلك :

أ ـ حاجة جميع المصاحف المرتلة برواية حفص أو ورش أو غيرهما إلى مقدمة صوتية ـ وقد سبق القول في ضرورة وجود هذه المقدمة ـ تعرف بالقارئ وتحدد الرواية والطريق التي يقرأ بها.

ب ـ قلة الضبط في التسهيل فبعضهم يجعل التسهيل هاءً خالصة وهذا خلل، فمن يستمع إلى الشيخ الحصري وهو يقرأ قول الله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ** ﴾ [السجدة 26] يتأكد من ذلك، ومن يستمع إلى الشيخ المنشاوي وهو يقرأ كلمة :﴿ **وَٱلذَّكَرَيْنِ** ﴾ [الأنعام 144] الثانية من سورة الأنعام يقف على ذلك .

والتسهيل بنطق الهاء خالصة، بدعة قديمة وليست محدثة وهي مخالفة للرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ و قد اشتهر بالنطق بها أهل المغرب .

وفي ذلك يقول الشيخ الشنقيطي[19] ـ رحمه الله ـ : "اعلم وفقني الله وإياك أن ما جرى في الأقطار الإفريقية من إبدال الأخيرة من هذه الهمزة المذكورة وأمثالها في القرآن هاءا خالصة من أشنع المنكر وأعظم الباطل وهو انتهاك لحرمة القرآن الكريم وتعد لحدود الله...لم يروه أحد عن رسول الله ﷺ ولم ينزل به جبريل البتة ولم يروعن صحابي ولم يقرأ به أحد من القراء[20] ".

وهذه المسألة ـ أعني النطق بالتسهيل هاءً ـ لأهميتها ودقتها في الأداء، وولوع كثير من القراء بالنطق بها قد أفردها بعض العلماء بالتأليف[21] .

جـ ـ عدم ضبط النطق بالقلقلة: بعض القراء المشهورين ينطق بها أقرب ما يكون إلى الكسر مطلقاً، فمن يستمع إلى قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل في قوله تعالى :﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ﴾ [الأنعام 97، 98] أو الباء الأولى من قوله تعالى: ﴿ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام 44] ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ [الأنعام 99] فإنه يقف على النطق بالقلقلة عند هذا القارئ الشهير قريبة إلى الكسر .

والتحقيق في هذه المسألة كالآتي :

ـ إما أن تتبع ما قبلها .
ـ أو أنها أقرب إلى الفتح مطلقاً، وهو قول الجمهور، وعليه مذهب أهل الأداء[22] .

ومن الخطأ أيضاً النطق بها في غير حروفها، مثلما يصدر من الشيخ الحذيفي ـ حفظه الله ـ عند نطقه لحرف الذال من قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ﴾ [المائدة 20] أو الميم في:﴿ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ ﴾ .

وكذلك الشأن في قراءة الشيخ محمد أيوب في نحو كلمة :﴿ بِمِثْلِ ﴾ [البقرة 137] ... والأمثلة على ذلك كثيرة، فإحداث القلقلة في غير حروفها لحن يجب الحذر منه [23].

د ـ حاجة بعضهم ـ أحياناً ـ إلى النطق الصحيح لبعض الحروف، فحرف الحاء مثلاً عند الشيخ مصطفى إسماعيل فيه شيء من الجهر، ولهذا يقع الاشتباه بين الحاء والعين في قراءة الشيخ، لأن مخرجهما واحد، فلو أننا

نستمع إلى فضيلته وهو ينطق بالحاء في قوله تعالى :﴿ **وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ** ﴾ [هود 53] فإننا سنقف على الخطأ .

والغريب في الشيخ عبد الباسط ـ رحمه الله ـ أنه يبالغ أحياناً في الهمس عند حرف التاء ـ غير الساكن ـ وقد قلده في ذلك كثير من القراء، وأذكر أنني نبهت أحد القراء المبتدئين إلى خطئه في نطق التاء مهموساً، فأعرض عن تنبيهي مستدلاً بما يسمعه من قراء مهرة كأمثال الشيخ عبد الباسط ـ رحمه الله ـ .

هـ ـ تفخيم مالا يستحق التفخيم، وهو ما لا نلاحظه في قراءة بعضهم، فمثلا الشيخ الحذيفي ـ حفظه الله ـ يفخم اللام الأولى من كلمة :﴿ **ٱلْقِتَالَ** ﴾ [النساء 77]، وفي قراءة الشيخ محمد أيوب تفخيم لحرف الميم في كلمة :﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ** ﴾ [البقرة 75].

و ـ تحس في قراءة بعض القراء المشهورين شيئاً من الجفاف، بحيث لا يوحي للسامع و لا يبعث فيه حرارة التدبر الذي يجب أن يكون مصاحباً لصوت القارئ وهو يلهج بالذكر الحكيم[24]، ولعل ذلك يعود إلى تركيز القارئ واهتمامه بقواعد التلاوة، وجمال الصوت، كونه يجلس للتسجيل أمام لجنة تراقب عثراته .

ي ـ السلامة من العيوب الفنية : فتردد صدى الآيات في التسجيلات المرتلة واضح في كثير من هذه المصاحف، وصدى الصوت يلعب دوراً كبيراً في تكرار بعض الحروف، وكل ذلك يحتاج إلى علاج، والله أعلم.

وبناء عليه فالمكتبة الصوتية الإسلامية في أمس الحاجة إلى تسجيل القراءات العشر كلها، بسائر طرقها وجميع رواياتها بأصوات هؤلاء وأمثالهم، فهم مهرة ومقتدرون، وما ذكرناه من هفوات يسيرة قلّما يسلم من الوقوع فيها إنسان، فالغرض أولاً وآخراً، هو الحصول على الأجود، وطلب الوصول إلى الأحسن، رحم الله هؤلاء الشيوخ، وجزاهم عنا وعن الإسلام خير جزاء .

نماذج من التسجيلات المخالفة للقراءة الصحيحة:

لقد امتلأت المكاتب الصوتية في السنوات الأخيرة بعديد الأشرطة والاسطوانات المسجلة لقراء جدد، ذاع صيتهم في العالم الإسلامي، وإنك لتلمس الخشوع في قراءات بعضهم كما في المصحف الباكي للشيخ المحيسني، أو المصحف المسجل للشيخ محمد بن علي العجمي، وكذلك خالد بن عبد الله القحطاني[25]، وبعض الفتيان الصغار الذين سجلت لهم بعض الأشرطة .. وغيرهم كثير، لكنك حين تعاود الاستماع مرة أو مرتين لأي شريط أو اسطوانة من التي ذكرت، لا تتردد في الحكم عليها بالرفض، وبعدم صلاحيتها للسحب أو للنشر، و أسباب الرفض لهذه التسجيلات كثيرة جداً، وهي ليست كسابقتها، فتلك مصاحف ممتازة متقنة رائدة، غابت عنها بعض الأحكام الدقيقة، وهي يسيرة جداً.

لكن الذي بين أيدينا اليوم تحمل في طياتها ما يستوجب مصادرتها ومنعها من النشر، و سأذكر إن شاء الله تعالى جملة من الأسباب :

أ ـ وجود اللحن الجلي والخطأ الظاهر في قراءة بعضهم، ولا خلاف في حرمة ذلك.

من أمثلة اللحن الجلي، ابتداء الشيخ محمد حسان ـ غفر الله له ـ بكسر همزة الوصل في كلمة : ﴿ اذْكُرُواْ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [إبراهيم 6] ولم يقل بهذا أحد من القراء القدامى ولا المعاصرين، ولا ثبت عن أحد من الأئمة رحمهم الله .

فحكم الابتداء بهمزة الوصل في الأفعال هو الضم، إذا كان الحرف الثالث فيها مضموماً ضماً أصلياً، وهذا على سبيل الوجوب[26] .

ومن الخطأ أيضاً قراءة الشيخ القحطاني بعدم صلة الهاء وصلاً في كلمة: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ﴾ [طه 75] ولا يجوز هذا في رواية حفص[27]، وكذلك قرأ الشيخ بعدم صلة الهاء في قوله تعالى:﴿ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ [هود 12] [28]،ثم أعادها بالصلة، وهو خطأ والصواب حذفه، لأن بقاءه يوهم المستمع أنه يجوز فيهما الوجهان .

ب ـ عدم وجود الاستعاذة ولا البسملة ـ أحياناً ـ في هذه التسجيلات، وقد يجد الشيوخ مسوغا في ترك الاستعاذة[29]، ولكن لا حجة لمن يترك البسملة في أول سورة الفاتحة ثم بين سورتي يوسف والرعد يورد الاستعاذة والبسملة، ولا يوردهما فيما سوى ذلك،وهذا خطأ فادح وقع فيه الشيخ القحطاني[30].

لابد من البسملة في أول كل سورة سوى سورة براءة، أما أجزاء السور وهي ما دون أول السورة ولو بآية أو بكلمة، فالقارئ مخيّر بين قراءة البسملة وعدمها [31].

فالمصحف المرتل المسجل يجب أن يكون صورة طبق الأصل للمصحف الذي كتبه عثمان، وأثبت فيه كتابة البسملة، أما الخلاف الوارد في هذه المسألة أرى ـ والله أعلم ـ أن يبقى حبيس الكتب، والقارئ[32]مخير في أي مذهب يطمئن إليه[33].

جـ ـ عدم مراعاة الوقف والابتداء، قد نسمع أحيانا وقفا أو ابتداء يفوق وصف القبح، كالذي فعله الشيخ خالد القحطاني عندما ابتدأ بقوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد] وهو ابتداء غير صحيح البتة، لأن نفي الولاية والوقاية متعلق بشرط اتباع الهوى .[34]

لقد اشتدت عناية السلف والخلف بالوقف والابتداء حتى أفردوه بمؤلفات عدة وشددوا النكير على من يهمله .

قال الشيخ الصفاقسي[35] : "...ومن لم يلتفت لهذا ويقف أين شاء فقد خرق الإجماع وحاد عن إتقان القراءة وتمام التجويد"[36] .

د ـ كثيرا ما يقرأ العجمي بغنة دون الحركتين، كما في الياء من قوله تعالى﴿ قَآئِمٌ يُصَلِّي ﴾ [آل عمران 39] والميم من قوله تعالى﴿ قَدْ أَصَٰبَتْكُم مِّثْلَيْهَا ﴾ [آل عمران 165] حتى النون والميم المشددتان، وهما الحرفان اللذان يروق لكثير من القراء التفنّن في التغنّي بهما إلى حد المبالغة، ومع ذلك فإن الشيخ العجمي ـ غفر الله لنا وله ـ لا يعطي الغنة حقها في مثل هذين الموضعين، بل يمر عليهما مراً عابراً ، ولك أن تقف على ما ذكرت إذا استمعت إليه وهو يقرأ كلمة ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: 94] ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ [البقرة 179]، ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ ﴾ [البقرة].

وقد فاق الجميع ـ في عدم الالتزام بأحكام النون أو الميم الساكنتين أو المشددتين ـ الشيخ المحيسني غفر الله لنا وله.

وإلى غير ذلك من الأخطاء الفادحة التي لا أرى سبباً لانتشارها سوى غياب السلطة العالمة والرادعة، التي تقدر كتاب الله حق تقديره، وكذا طغيان الجانب المادي على النفوس الكليلة التي رأت في تسويق مثل هذه الأشرطة و الاسطوانات تجارة رابحة، أنستها جلالة وعظم ما يسوق وينشر ويذاع، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

خطورة اعتماد المصاحف المسجلة من قراءة الصلاة

لعل أهم الأسباب في كثرة الأخطاء التي يقع فيها العديد من أصحاب المصاحف المرتلة، هو كون هذه الأخيرة قد تم تسجيلها من القراءة داخل الصلاة، وفرق بين من يجلس للتسجيل وقد استعد لذلك، وبين من يقف للقراءة في الصلاة، فالأول يغلب عليه التحرز من الأخطاء، والانتباه للأحكام والأداء، أكثر من غلبة الخشوع والتدبر، بينما يسيطر على الثاني جو من الهيبة والتفكر في آيات القرآن الكريم، كونه يقف بين يدي ربه للصلاة، وقد يصرفه ذلك ـ أحياناً كثيرة ـ عن الرجوع لآية لم يستوف فيها المد حقه اللازم، أو لغنة أو إظهار أو إخفاء، قد يرجع لآية أسقطها، لكنه لا يستطيع الرجوع لكل حكم أغفله، لما في ذلك من التكرار الذي تطول به الصلاة .

والحق أن الجمع بين الحالتين أمر صعب المنال، لا يرقى إليه إلا الحذاق من المقرئين المهرة الأخيار، الذين وهبهم الله فضل الإحاطة بالأحكام، مع جلال الهيبة والتدبر والاستذكار .

إن تسجيل ختمة من القرآن الكريم لقراءة مصل مقرئ، ثم تسويقها في البلاد الإسلامية ليقتنيها عامة الناس في بيوتهم ومحلاتهم وسياراتهم، أمر في غاية الخطورة، فكثير من هذه الأشرطة والاسطوانات لم تخضع لمراقبة المختصين، حتى لو خضعت سوف لن يستقيم منها إلا الجزء اليسير.

إن مكمن الداء يتمثل في خطورة اعتماد هذه القراءة كمرجع من قبل من يجهل أحكام التلاوة، وهو ما وقع بالفعل، لقد استمعت لشاب يقلد الشيخ المحيسني في هفواته وزلاته، هفوة بهفوة، وزلّة بزلّة، بل يقلده حتى في التباكي.

ماذا عسانا أن نقول في مصحف مرتل مسجل من داخل الصلاة، فيه من السقط ما لم يستطع التسجيل أن يلتقط تصويبه، ليكون هذا المصحف المرتل في النهاية مصحفاً ناقصاً ؟.

فالأصل في المصحف المرتل والمسجل أن يكون صورة طبق الأصل عن المصحف المكتوب، الأول يدرك بالسماع، والثاني يدرك بالنظر .

إن مصاحف القراءات المسجلة التي تخالف المصحف العثماني في رسمه، وخطه وتجافي الرواية الثابتة عن رسول الله ﷺ، محكوم عليها بالبطلان، بل يجب مصادرتها، والتنبيه على خطرها .

بقي أن نناقش مسألة ـ تتعلق بهذا الموضوع ـ من الصعب التسرع في بت الحكم فيها، وهي مسألة البث المباشر لصلاة التراويح، أو التهجد الذي تنقله الإذاعات المسموعة والمرئية من المساجد الكبرى، كالحرمين الشريفين، أو غيرهما من المساجد الأخرى .

قد يلحن بعض الأئمة القراء سهواً لا عمداً، والخطأ متوقع لا محال، والخطر أن ملايين البشر من المسلمين يستمعون إلى هذه القراءة، وقد لا يعرف جلهم الخطأ من الصواب، وقد يسجل الكثير منهم هذه القراءة لنفسه أو لأهل بيته، بل قد يجرأ أصحاب الشركات على سحب آلاف النسخ من هذه القراءة، و يسوقها في كثير من البلاد الإسلامية لغرض تجاري يكسب من وراءه ربحاً مادياً ؟

فما السبيل لتفادي الوقوع في مثل هذا المنزلق الخطير، والذي لا مفر منه ؟

الحل فيما أرى ـ والله أعلم ـ لا يخرج عن اختيارات ثلاثة :

أولا : إما أن يظل الأمر على ما هو عليه الآن، ويبقى الخطأ موجوداً، وهذا الاختيار لاشك أنه مرفوض، ولا يسلّم به مسلم غيور على دين الله وكتابه .

ثانيا : وإما أن يمنع البث المباشر للتخوف من احتمال حدوث الخطأ في القراءة، ولعدم القدرة على منع الناس من التسجيل والتسويق، وفي هذا الاختيار تفويت فرصة إسماع القرآن الكريم لملايين المسلمين الذين يتابعون

هذا البث، قصد الاستمتاع بقراءة، غالباً ما تكون أجود وأفضل من القراءة التي تعودوا سماعها في مساجدهم من أئمة تنقصهم الخبرة في فن القراءة والترتيل، كما أنه لا يعقل أبداً أن توصد أبواب الإذاعات في وجه الكتاب العزيز، لتفتح على مصراعيها أمام المتمردين على الدين والأخلاق ينشرون بواسطتها الرذيلة الفساد .

ثالثا : أن يستمر هذا البث المباشر، ونفكر في حل مناسب يجمع بين الأمرين معاً، وهو الرأي الصواب إن شاء الله تعالى .

لعل الحل المناسب يتحقق فيما يأتي :

1 ـ أن يكون الأئمة القراء ذوي قدرة عالية من حيث الضبط والأداء والحفظ والإتقان، فلا يكون أساس اختيارهم هو جمال الصوت فقط .

2 ـ أن يكون من خلفهم من لديهم القدرة الواسعة على تصحيح الأخطاء،وحبذا لو كان لديهم جهاز يعدل في قوة صوته صوت القارئ نفسه، ليظهر التصحيح واضحاً، وبهذا نتفادى السقط المسجل .

3 ـ أن نخدم هذه القضية إعلامياً، كأن يقدم قبل البث يومياً نص مختصر، يذاع قبل كل صلاة، يذكر بثقل هذا الكتاب، وتشابه آياته، ومن هنا يحتمل الوقوع في الخطأ، وبذلك نكون قد أبرأنا ذمتنا أمام كتاب الله عز وجل، وتركنا للسامع الحكم على هذه القراءة .

4 ـ أن تتكون لجنة متخصصة وظيفتها التعليق على تلاوة القارئ إذا لحن فيها، وتصويبها جهراً بعبارات لطيفة لا تحرج القارئ، ويكون ذلك بعد السلام من كل ركعتين مباشرة، ولا مانع أن تعطى هذه التصويبات للقارئ نفسه على أن يقوم بإعلانها جميعاً، وقد يكون هذا هو المستحسن في حق كتاب الله وحقه، وحق الجماهير.

توصيات و مقترحات

ـ تسجيل القرآن الكريم بجميع القراءات المتواترة على أن يكون ذلك بأصوات المهرة من القراء و صورهم، والعمل على نشر ذلك في أجهزة الإعلام كالتلفزيون والإنترنت والكمبيوتر وإذاعات القرآن الكريم.

ـ ضرورة ابتداء هذه التسجيلات بمقدمة صوتية تعرف بالقارئ وبالقراءة وتاريخها، ومكان تواجدها، ومنهج القراءة، والوجه المختار فيها، وسببه، مع الإشارة بالأمثلة إلى الأوجه الصحيحة الأخرى التي لم تسجل على النحو الذي سبق تفصيله .

ـ وجود برامج لعلم القراءات و تاريخ و حياة القراء ـ القدامى والمعاصرين ـ وإذاعة هذه البرامج في أجهزة العلم الحديثة بأنواعها المختلفة، وأقترح تسجيل وتصوير أفلام ومسلسلات تحكي حياة هؤلاء .

ـ تدريس كتاب الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم في معاهد القراءات وأقسام علوم القرآن .

ـ تقييم المصاحف المرتلة بدقة من طرف العلماء المتخصصين، والحكم عليها بما تستحقه، وإصدار قرارات عملية رادعة لكل من يتسبب في التسجيل لأيّ مصحف مرتل لم يبلغ درجة الامتياز، مع مصادرة المصاحف المخالفة ومنعها من التداول بين الناس .

ـ وجوب العمل على توصيل موجات شبكة إذاعة القرآن الكريم إلى كافة أنحاء الوطن تحقيقاً للعدالة الاجتماعية، وحبذا لو قام المسؤولون في البلاد أو خارجها على إنشاء قناة تلفزيونية خاصة بالقرآن الكريم، كقناة الفجر الفضائية، فهذا أقل البر في حق الكتاب العزيز، وصلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه أجمعين .

ـ الهوامش :

1 – أخرجه البخاري في **كتاب فضائل القرآن**، باب من لم يتغن بالقرآن 6/ 107. **صحيح البخاري بشرح الكرماني** دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط2 سنة 1981.

2 – أخرجه البخاري في **كتاب فضائل القرآن**، باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره 6/ 112.

3 – أخرجه البخاري في **كتاب فضائل القرآن** 6/ 112.

4 – طالعتنا الصحف هذه الأيام عن وجود طبعات رديئة لبعض المصاحف فيها من السقط والأخطاء ؟!

5 – الأستاذ الدكتور لبيب سعيد : باحث من مصر ، لم يكن في ثقافته أزهريا و إنما كان موظفا بوزارة المواصلات، قضى جزءا كبيرا من حياته في دراسة العلوم العامة حتى حصل على رسالة الدكتوراه في علم الاجتماع وهو صاحب رأي في علم الاجتماع وله منهج خاص به . (أخذت هذه الترجمة

الميسرة اعتمادا على المقدمة في كتابه لـ د. حسن الساعاتي، وكذلك من مطالعتي لصلب كتابه الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم).

6 – د. لبيب سعيد، الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل بواعثه ومخططاته ص 101 طبعته لأول مرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

7 – طُلب من الأستاذ أن يكتب كتابا يوضح فيه بواعث مشروعه ومخططاته فكان هذا الكتاب بمثابة المقدمة .

8 – هو الشيخ محمود خليل الحصري ولد في 01/ 12/ 1335 هـ بقرية شبر النملة مركز طنطا محافظة الغربية لجمهورية مصر العربية، حفظ القرآن في سن الثامنة ثم تفرغ لدراسة علومه، درس بالأزهر الشريف، عوين مفتشا للمقارىء المصرية إلى أن تولى مشيخة المقارىء عام 1381هـ وكان أول من سجل المصحف الصوتي المرتل برواية حفص عن عاصم سنة 1381 هـ . من شيوخه علي محمد الضباع والشيخ عامر السيد عثمان ...له مؤلفات عدة منها أحكام قراءة القرآن الكريم ومعالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء .. وله مقالات عديدة في مجلة لواء الإسلام . **إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري**، لإلياس بن أحمد حسيني بن سليمان البرماوي 2/ 43،42،41.دار الندوة العالمية للطباعة والنشر.ط1 سنة 2000.

9 – النشر في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق علي محمد الضباع1 / 326، 327.طبعة دار الفكر.

10 – **التبيان لبعض المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم** للشيخ طاهر الجزائري ص 116 وما بعدها، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب سوريا ط4 .

11 – **الجمع الصوتي** ص 103 .

12 – **الجمع الصوتي** ص 95 .

13 – يرجى النظر فيما كتبه الأستاذ يوسف أبو علي في رسالته تلقي القرآن الكريم دراسة موضوعية (رسالة ماجستير نوقشت بالأزهر الشريف لم يحدد فيها تاريخ).

14 – محمد صديق المنشاوي ولد في 20 يناير 1920 بالمنشاه في محافظة سوهاج بصعيد مصر حفظ القرآن في سن الحادية عشر، وتم اعتماده بالإذاعة المصرية عام 1953، رحل إلى كثير من دول العالم ورتل فيها القرآن وجوده منها الجزائر، عين قارئا بمسجد الزمالك توفي رحمه الله في 20 يوليو 1969. **إمتاع الفضلاء** ج 2 ص 298 .

15 – عبد الباسط بن محمد بن عبد الصمد، من مواليد محافظة قنا بصعيد مصر عام 1927، حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات و كانت بداية تعليمه في كتاب القرية على يد الشيخ الأمير، ارتحل إلى طنطا والتحق بالمعهد الديني فيها وتعلم القراءات والترتيل و التجويد وظل يتعلم الأداء حتى برع فيها وأصبح من أشهر قراء مصر والعالم صوتا و أداء، من شيوخه علي محمد الضباع توفي رحمه الله في 30. 11.1988. **إمتاع الفضلاء** ج 2 ص 150 .

16 – الشيخ مصطفى إسماعيل ولد في قرية ميت غزال بمحافظة الغربية عام 1905 حفظ القرآن دون العاشرة ثم انتقل إلى المعهد الديني بطنطا فدرس فيه العلوم الشرعية و العربية وغيرها من العلوم النافعة توفي رحمه الله عام 1978 . **إمتاع الفضلاء** ج 2 ص 388 .

17 – هو الدكتور علي بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد الحذيفي، ولد بقرية القرن المستقيم ببلاد العوامر جنوب مكة المكرمة، حصل على الماجستير و الدكتوراه بجامعة الأزهر، وعمل بكلية الشريعة بالمملكة وغيرها من الكليات تولى الخطابة و الإمامة في مسجد قباء والمسجد الحرام، له العديد من التسجيلات أهمها ختمة كاملة للقرآن الكريم برواية حفص و أخرى برواية قالون و لا يزال الشيخ على قيد الحياة يخدم القرآن وأهله. **إمتاع الفضلاء** ج 1 ص 224 . وقد شرفني الله بالصلاة وراءه في المسجد النبوي وكذا الجلوس إليه والحديث معه في غرفة الإمام بالمسجد الحرام.

18 – هو الشيخ محمد أيوب بن محمد بن يوسف من أصل برمكي ولد في مكة المكرمة عام 1372 هـ حفظ القرآن الكريم كاملا وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة التحق بالمعهد العلمي للمدينة المنورة عام 1392 هـ ثم التحق بالجامعة الإسلامية وتخرج من كلية الشريعة عام 1396هـ حصل على الماجستير ثم الدكتوراه من كلية القرآن الكريم عام 1408 هـ مارس الخطابة في العديد من مساجد المدينة وهو عضو في اللجنة العلمية بمجمع الملك فهد، له العديد من التسجيلات أهمها ختمة كاملة للقرآن برواية حفص عن عاصم و لا يزال الشيخ على قيد الحياة يخدم القرآن وأهله.
إمتاع الفضلاء ج 1 ص 277– 278 .

19 – هو محمد الأمين بن محمد بن المختار بن عبد القادر الشنقيطي، مفسر ومدرس ولد بشنقيط 1907م وتعلم بها وحج سنة1367هـ واستقر مدرسا بالمدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة توفي بمكة سنة 1973م من أشهر كتبه أضواء البيان في تفسير القرآن عن : **الأعلام** لخير الدين الزركلي 6/ 45. دار العلم للملايين ط7 أيار مايو سنة 1986 بيروت.

20 – **أضواء البيان للشنقيطي** 7/ 781 – 782، طبعة مكتبة ابن تيميه القاهرة سنة 1988 .

21 – يرجى النظر مثلاً : إلى **التعليقات المليحة والردود الصريحة على نظم نصرة القارئ بالهاء الصريحة** للشيخ محمود أحمد الشنقيطي . مكتبة الحرم المدني طبعة 1 سنة1414 هـ .

22 – يرجى النظر في الهامش من كتاب **أحكام قراءة القرآن** لشيخ المقارئ المصرية محمود خليل الحصري تعليق محمد طلحة بلال منيار ص101–102 ط3 سنة 1997 دار البشائر الإسلامية بيروت .

23 – يرجى النظر في كتاب **نهاية القول المفيد في علم التجويد** للشيخ محمد مكي نصر الجريسي ص24، طبعة المكتبة التوفيقية .

24 – أشعر بالهيبة وأنا أستمع إلى فضيلة الشيخ محمد صديق المنشاوي - رحمه الله ـ صاحب الصوت الندي والقراءة الحزينة الخاشعة، وقد لمست هذا الشعور عند كثير من مستمعيه، وقد راق لبعضهم تسمية قراءته بقراءة المتقين وهو أهل لذلك ولا نزكي على الله أحداً.

25 – لم أقف على ترجمة لهؤلاء الثلاثة فهم من المعاصرين والمشهورين .

26 – يرجى النظر في كتاب **المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية** للعلامة ملا علي بن سلطان محمد القاري ص 77 طبعة البابي الحلبي و أولاده بمصر .

27 – يرجى النظر في كتاب **البدور الزاهرة** لعبد الفتاح القاضي 2/ 46.طبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط1 القاهرة سنة 2006.

28 – القراءة من تسجيلات شركة الإيمان للإنتاج والتوزيع، القاهرة .

29 – كأن يقرأها سرا .

30 – القراءة من تسجيلات طليطلة الإسلامية، ـ البطحاء ـ الدمام . الرياض .

31 – **النشر** ج1 ص271 .

32 – أستثني من ذلك القراء المسجل لهم .

33 – لمزيد بيان في هذه المسألة يرجى النظر في كتاب **الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف** لابن عبد البر القرطبي تحقيق عبد اللطيف بن محمد الجيلاني المغربي طبعة أضواء السلف ط1 الرياض 1997.

34 – تمام الآية كالآتي: ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ** ﴾ [الرعد 27]

35 – وهو الإمام علي بن محمد النوري الصفاقسي أبو الحسن ولد بصفاقس بتونس سنة 1053 وتوفي بها سنة 1117هـ من أشهر كتبه غيث النفع في القراءات، ينظر في **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني تحقيق إحسان عباس 1/ 298 دار الغرب الإسلامي ـ بيروت الطبعة : 2 سنة 1982 .

36 – **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاواتهم لكتاب الله المبين** لأبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي ص 128 طبعة مؤسسات عبد الكريم عبد الله سنة 1974